فى الاجتماع .

الجمال والمجتمع

الجمال كلمة ولكنها فى الأذن نغمة ، لها رنينها فى القلب والنفس . تمر بالسامع فلا تتلاشى ، بل يكون لها حظها من عنايته ، فإن كان ذا صبوة ونزعة ، كان التصوير فالذكرى ، فاللذة والألم

خلق الله الإنسان ورمى به فى مجاهل هذا الكون ، وظلماته ، وقد أراد سبحانه ألا يحرمه نصيبا من رحمته وإحسانه ، فملأ له السماء بالنجوم ، وزين له الأرض بخضرة ناضرة وماء سلسال يترقرق على وجهها ترقرق تباشير الصباح على وجه السماء ، حتى يجتلى فى الطبيعة ومنظرها البديع ما يستريح إليه ويأنس به فى هذا العالم الوحشى المخيف ، فلم تزل الطبيعة تلهمه ، وجمالها يوحى إليه بالاندفاع وراء البحث والاستطلاع حتى وصل اليوم إلى ما وصل إليه ، من فن بديع ، وتعبير صادق عما فى نفسه من أدق المعانى ، وأرق التصورات .

فإلى جمال الطبيعة وحده يرجع الفضل فى إيقاظ شاعرية الإنسان وإنمائها وتهذيبها ، وإلى جمالها وحده يرجع الفضل فى تربية الذوق وتهذيبه ، ولا يخفى ماله من تأثير فى الفنون وتقويمها ، والأخلاق ورقيها .

وأى كائن ذى روح لا يحب الجمال حبا صحبه منذ خلق حتى صار مظهرا قويا من مظاهر وجوده ، وحاجة ماسة من حاجات نفسه الضرورية لإسعادها وإيناسها فى هذا العالم المليء بالهموم والأحزان . تلمس ذلك الحب الغريزى فى نشوة الثعبان ، واختيال الطاووس ، وصفير البلبل ونشاط البعير حين يحدوه الحادى بلحنه العذب ويهزه بصوته الرخيم .

والجمال من حيث ذاته يختلف باختلاف الميول والنزعات ، فكم قبيح عندك حسن عند غيرك . وفى هذا دليل على أن الجمال غير محدود .

ولغريزة حب الجمال أثر عظيم فى تربية الطفل فهو الوسيلة الوحيدة لإيقاظ انتباهه ورغبته ، وتشويقه إلى الدرس والعمل فى دور إرادته فيه خامدة لم تزل بعد فى دور التكوين ، كما أن العامل الأول فى تهذيب وجدانه ، وتكوين ذوقه حتى يميل إلى كل فضيلة ، ويستقبح كل رذيلة .

وإذا كان جمال الذوات غير محدود لاختلاف الميول فيه ، فكل شىء فى نظر الطفل جميل

جميل إلا مايتنافى مع غرائزه وميوله . ولقد يظهر لك ذلك واضحا جليا فى ابتهاج الطفل نفسه بتعذيب عصفوره المسكين ، وسروره ببكاء أخيه على شىء انتزعه منه واستأثر به دونه .

والشباب ينظر إلى الجمال نظرة طائشة فهو لا يعتبر فى المرأة إلا مظهرا خلابا — وإن كانت شوهاء النفس قبيحة الأخلاق ، وربما رجعت به غرائزه إلى سذاجة الطفولة فخدعته النظرة ، واستعبدته البسمة .

وما الجمال الظاهرى فى نظر الباحث الممحص إلا مسحة من جمال النفس وأثر من آثاره ؛ فلكم من نفس جميلة ذات وجه دميم ملكت محدثها بأدبها وأخلاقها ، وأثرت فيه بجاذبيتها المعنوية تأثيرا قويا يخلبه ويستهويه .

والجمال العرضى أعنى جمال اللون : يشترك فى الميل إليه والاعجاب به كل ذي عينين — فاذا ما ارتقى الانسان فى وجدانه وتفكيره ، أحس فى جمال الأشياء المعنوي ذلك الجمال الذى أفاضه بارئها عليها ، وأودعه فيها وحجبه إلا عن نظر قوى ثاقب ، وروح فلسفى رزين ، لايروقه من البحر بريقه بل عظمته ولا من الليل نجومه بل هدوءه ، ولا من الأشياء ذواتها بل حقائقها ؛ لايحبو عن ذوقه أى كائن شعورا بما أفاضه الله عليه من إبداع فى الخلق ، وحكمة فى التكوين .

وليس الناس سواء فى فهم الجمال المعنوى وتقديره التقدير اللائق به ، وهذا لايرجع إلى تعليم أو جهل ، بل إلى الفطرة وصفائها ، والذوق وسلامته ولكم شاهدنا من شىء لم يؤثر فيه العفو ، وظالم مستبد لم يرده الاستعطاف على أن هاتين الصفتين من أجمل مظاهر الجمال النفسى .

والباحث المتروى فى نشأة العلوم الفلسفية بصرف النظر عن الفنون يجد الجمال سببا مهما فى إيجادها ، إذ جمال الأدراك وجمال الوضوح والشعور العميق ، والوجدان الأسمى ، كل هذه بواعث تدفع بالفيلسوف إلى البحث والنظر ، والامعان والتفكير . وأى جمال بعد جمال اجتلاء الحقائق ولذة بعد لذة إدراك عللها ومعلولاتها ، تلك اللذة التى تحمل الفيلسوف على أن يقنع بها من حياته ، ويزهد فيما سواها من لذائذ العيش وزخارف الحياة .

والأديان السماوية جماء جاءت مستندة على الجمال فى دعوتها الناس إليها — فما هو إلا الجنة وما بها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

والمرأة لايهمها من الجمال إلا العرضى منه ، وهذا لقصر نظرها وضعفها الطبعى عن اكتناه

حقائق الأشياء وتكيفها فلا يروقها من الأشياء غيره ولا تعنى من نفسها بشئ سواه . ولقد مثلت هذه الظاهرة تمثيلا واضحا بحليها وزينتها وإن كان الباعث عليها حبها فى امتلاك الرجل وإشباع غريزة حب الجمال من الجمال .

والمستطلع المتروى يرى الجمال العرضى كثيرا ما يكون مفسدة للمجتمع وخطرا على كيان الأخلاق ؛ فليس من سلاح غيره لمتهتكات النساء ، ولا أحبولة سواه .

ولو قدر المجتمع الجمال المعنوى تقديره اللائق به لتحققت أحلام الفاراني فى وجود مجتمع فاضل تسوسه مدنية فاضلة — ولكن ذلك هيهات ! فقد طبع الرجل على ألا يعشق فى المرأة إلا جسمها لا أدبها ، ويجرى وراء ذهبها لا أدبها حتى إذا ماقضى حاجة فى نفسه تركها متاعا فاسدا أو أمسكها على غير رغبة وهنا تفسد الأسرة فيفسد المجتمع .

وبعد : فليس الجمال إلا هبة من المواهب كالمال والذكاء وغيرهما — تلك المواهب التى تمدح وتذم بحسب استعمالها : ولو أحب الرجل بعقله وتجملت المرأة بجمال نفسها وأدبها ، ونظر الناس إلى الجمال النفسى نظرة تقدير واعتبار ؛ لرأيت مجتمعا غير هذا المجتمع وحياة غير هذه الحياة .

صبرى سيد رفاعى
مدرس بمدرسة كفر الباسرة الالزامية

(شكر)

تفضل حضرة الأستاذ أحمد محمد مراد فأهدانا كتابه « زهرة الربيع فى مدح النبى الشفيع » وتكرم حضرة الأستاذ حامد الشيال فأهدانا كتابه « المرأة فى الأسلام »

وتكرم حضرتا الأستاذين مصطفى أحمد أبو هدله ومحمود على العطار بأهدائنا كتابيهما رواية الشفاء والتعليم بين الزواج والعزوبة وأتحفنا حضرة السيد محمد حواس بكتابه « ديوان حواس » وأهدانا الأستاذ محمد السيد الفحان كتابه « خطرات يافع » والأستاذ محمد كامل حته كتابه « صحائف مطوية فى تاريخ بلاد النوبة » . وأهدانا طرفا فى المحفوظات والأناشيد حضرة الأستاذ حسن محمد البغدادى .

وقد تصفحنا هذه الكتب فألفيناها قيمة فى معناها ومبناها ، فلحضرات مؤلفيها الأجلاء الحمد الوافر والشكر والثناء .